باريس في الظل

تأليف: يم مشهدي

(سوريا)

الملتقى الإبداعي للفرق المسرحية المستقلة

أوروبا - البحر المتوسط

2010

كافة الحقوق محفوظة للمؤلف. ولا يجوز تناول هذا النص المسرحي،
أوتحويله إلى كافة أشكال الأعمال المرئية، أو المسموعة، دون الحصول على
موافقة كتابية من المؤلف.

e-mail: yam_machhadi@hotmail.com

الشخصيات:

– أولغا

– سلمى

– ناديا

– امرأة1

– امرأة2

المشهد الأول

أمنية

(غرفة صغيرة تعم الفوضى أرجاءها، كؤوس وزجاجات فارغة ومليئة، صحون مبعثرة، باقات ورد، قصاصات لامعة وبراقة تملأ المكان، نستدل من خلالها على أن اليوم هو رأس السنة الميلادية، ناديا وأولغا تذرعان المكان ذهاباً وإياباً، تحملان بقايا تلك الحفلة إلى المطبخ، سلمى تمسك بمكنسة طويلة اليد، وترقص معها على أنغام موسيقى روسية قديمة صادرة عن الغرامافون، بينما تنظف الأرضية وترتسم على وجهها علامات الفرح)

أولغا: لم يحدث شيء!!

ناديا: كل مناسبة تتوقعين حدثاً مفاجئاً، ودائماً لا يحدث شيء، وتصابين بخيبة أمل.. ألم تملي؟

أولغا: الليلة استثنائية (**ترمي بجسدها على الأريكة**) إنها بداية عام جديد!

ناديا: (**مقاطعة**) أراك جلست!

أولغا: أرجوك، غداً سننظف المنزل... أرجوك.

سلمى: (**تنبهت للعبارة الأخيرة**) أجل ناديا غداً، ولن تمسي شيئاً، أنا وأولغا سننظف المنزل، سنجعله يلمع من النظافة...

غداً عطلة.. أرجوك... على مسؤوليتي..

ناديا: دائماً هكذا، حسناً.

سلمى: **(تهرع إلى المطبخ، وتجلب ثلاثة كؤوس نظيفة، تملؤها بالشمبانيا المتبقية)** سنحتفل لوحدنا الآن.

ناديا: **(بعد أن غسلت يديها، تجلس وتتناول كأساً)** أين أنت أولغا!

أولغا: **(تقف عند الباب وتشعل الضوء وتغلقه ثلاث مرات)** أنا هنا **(مازحة)**..

سلمى: **(تهمس لناديا)** رجعت لعادتها!

ناديا: صه.. بصحة سكننا المشترك، وهذه الصحبة **(تأتي أولغا وتلتقط كأساً)**

سلمى: لحظة، لحظة، فلنتمن أمنية كل على حدة.

أولغا: بشرط أن تفصحا عن أمنياتكما بعدها.

(صمت)

ناديا، سلمى: نوافق.

(يهتفن بصوتٍ عالٍ.. صحة)

أولغا: قبل أن نبدأ، سأقترح عليكم لعبة، اعتدنا أن نلعبها في حفلات رأس السنة في موسكو..

سلمى: ما هي؟

أولغا: سنأتي بشموع ثلاث ونشعلها، ولدى انتهاء حديث كل منا عن أمنيتها، ستحاول إطفاء شمعتها الخاصة، وعلى مسافة بعيدة تقريباً، وإذا انطفأت، هذا يعني أنها ستتحقق.

سلمى: وإذا لم تنطفئ؟

ناديا: **(ممازحة)** بهذه العقلية لا أدري كيف تفهمين الأدب الذي تدرسين!

(تنهض أولغا وتحضر شمعدان يحتوي على ثلاث شموع، تشعلها وتضعها على مسافة منهن)

أولغا: سنبدأ من عندك ناديا كما المعتاد.

ناديا: أهي لعبة مكاشفة **(مازحة)** لا أطيق ذلك.

سلمى: لقد اتفقنا. كما أنه لا يوجد شيء جديد، بالتأكيد لها علاقة بعمر.

(سلمى وأولغا يضحكان)

ناديا: أأصبحت مملة لهذه الدرجة؟

سلمى: لا لم أقصد ذلك و...

ناديا: **(مقاطعة)** لا تهتمي.

(صمت)

نادیا: **(تنهض نحو النافذة الوحيدة الموجودة في الغرفة، وهي عالية وصغيرة)** رائحة التبغ والعرق تلتصق بالهواء **(تصعد على كرسي خشبي وتفتح النافذة)** ربما لا أعنيه...

سلمى: **(بصوت خفيض)** بدأنا.

أولغا: لا تضخمي الأمور، ربما اشتياقه لابنته... تعرفين.. وزوجته السابقة لا تدعه يراها.. ثم إنك احتملته في ظروف أسوأ.

نادیا: هذا لا يبرر..

سلمى: **(بلهفة)** لكنك تحبينه... والحب..

(صمت)

أولغا: **(تحاول تغيير الحديث، مازحة)** لنعد إلى الأمنيات، لا تتهربي ناديا.

نادیا: لكنها مستحيلة، وبعيدة.. حتى لو انطفأت الشمعة.. سأعيدها مرة أخرى، لعلها تصبح يوماً ما قريبة، أو لعلي أمل منها فتتركني وأتركها، وأهملها فتهملني و...

سلمى: **(مقاطعة)** إذن؟

نادیا: بيت مشمس دافئ بعيداً عن رطوبة أقبية باريس، قهوة على الطاولة، أودع أطفالي الذاهبين إلى

المدرسة.. بجنونهم الطفولي، عمر يدندن ويغادر لعمله، وأنا قرب النافذة أتأمل صخرة الروشة في بيروت، وأرتشف القهوة، وفي المساءات الطويلة أمشي في الشوارع، شوارع خالية إلا مني ومن عمر، نتجول فيها، تعبق مقاهي شارع الحمراء من روائحنا، كما يعبق الليل بصدى ضحكاتنا وحبنا.. نتعب من الضحك، النقاش، الأصدقاء، الصخب.. نتسلل إلى منزلنا وأضم أطفالي النيام... وأنام... لأستيقظ في منتصف الليل، لأجد عمر يعانقني، ويقبلني لينام بعدها... لدى عودتي لبيروت سأعود للعمل الصحفي كما كنت دوماً، ولأرتاح من مكاتب باريس السياحية السخيفة.

(أثناء حديث ناديا تفرغ الطاولة من كل ما هو موجود عليها، أوراق، كتب، منافض، وتأتي بفنجاني قهوة فارغين، وتصف أربعة كراسٍ حول الطاولة، تضع على الكراسي باقات ورد، وتتلمسها، كما لو أن شخوصها المتخيلة تجلس عليها بالفعل.. وأخيراً تشعر بالدوار فتجلس على إحديها، وتسند رأسها على الطاولة)

(صمت)

أولغا: أمنية معقولة وليست بعيدة كما تظنين، لكنها بحاجة لمزيد من الزمن ولقرار حاسم... الزواج.. الإنجاب..

تفهمين ذلك.. وبيروت مدينة مفتوحة لك ولعمر، غادرتها بسبب الحرب، والآن انتهى كل ذلك.

ناديا: (**بشرود**) ما الذي انتهى! لن يسمحوا لبيروت أن تعود كما كانت...... والأطفال!

(تضم تلك الباقات الموجودة على الكراسي وتضعها تحت ثوبها، لتؤدي دور المرأة الحامل وتمشي ببطء)

أولغا: (**مازحة**) جنين كهذا (**تشير إلى التجعيد تحت ثوب ناديا**) يبدو مشوهاً (**ترمقها ناديا بنظرة معاتبة**)

سلمى: (**بتعب**) الزواج، الأطفال... لا أود أن أسقط تجربتي، لكن ربما يمر يوم واحد كل عام كما تتمنين وتحلمين... دون صراخ وأزمات... ولتتحقق به أمنيتك، وتبقين تنتظرين على مدار الأيام والأسابيع والأشهر الآتية، أن تعود تلك اللحظات السعيدة، ولكن... مع الزمن وتراكم الساعات تدركين أنها لن تأتي.... أبداً.

(صمت)

(ناديا تجلس وما تزال تلك الباقات تحت ثوبها)

أولغا: لا تعممي، كما أنك لم تنجبي ولا تعرفين...

سلمى: (**مقاطعة**) الزواج لوحة، خطت بالأسود والأبيض، تتلألأ أولاً تحت الشمس لكن سرعان ما تبهت...

يتحول الأبيض إلى بقع رمادية، والأسود إلى شحار باهت، وتصبح اللوحة صفحة واحدة الألوان، تزول الخطوط وتتبعثر الظلال... لكنها...

(صمت)

ناديا: لكنها ماذا؟

سلمى: في بعض الأحيان تحمل جمالية، ربما لن تجديها مدى الحياة، إنها كما الصحف تصفر بمرور الزمن، والزمن فقط يمحو خطوطها وأحرفها وينسى ما جاء فيها من أحداث مهما كانت عظيمة...

(أثناء حديثها ـ سلمى ـ تأتي بمجموعة صور تخرجها من ثوبها، هي صورها القديمة مع زوجها السابق، تعلقها على الكراسي التي صفتها ناديا بواسطة ملاقط غسيل)

ناديا: أمنيتي مستحيلة (**تنفخ على الشمعة فلا تنطفئ، تضحك**)

أولغا: إنها مجرد خرافات.

ناديا: (**مازحة**) بالتأكيد ليس لهذا السبب.

سلمى: وإنما، لماذا؟

(صمت)

ناديا: (**تتأمل صور سلمى**) أنهيت الليلة علاقتي بعمر، شعرت فجأة بأننا غرباء عن بعضنا.. لم أعد أرغب

بالاستمرار، لن أحتمل المزيد، بقايا حلمي تبددت، ولم يتبق لي الكثير من عمري لأبعثره هنا وهناك، بين أمنية مستحيلة وحلم جميل، حتى أمنيتي تلك لا علاقة لها بعمر، يمكنني استبداله بأي رجل آخر، أنجب منه أطفالاً وأشعر بالدفء، بالاستقرار ليمنحني حياة، الأجوبة فيها أكثر من الأسئلة.

(تسحق الزهور في بطنها وترتمي على الأرض، وردة واحدة صحيحة، سلمى وأولغا ما يزالان في حالة ذهول لما سمعتاه للتو)

سلمى: أنهيت العلاقة... كيف؟

أولغا: بعد سنوات ست... هكذا من دون مقدمات... لماذا؟

(صمت)

ناديا: لا أدري، مللت من كذبه، من معاناته المزيفة المعدة سابقاً لاستنزاف آخر قرش من أية امرأة يعرفها... من خيانات متكررة واعتذارات بائسة، وهو لا يريد أطفالاً.. وهذا ما أهتم به الآن.. نعم مات حبي لعمر **(تغني)** ما دام أحلى وردة بتموت، والطير شو ما علا بيموت، تذكرت شو بتحبني قدك ما حدا حبني، بس ليش لا هل الحب ما يموت، ياعمي ما الشمس

بتموت وإنسان هلأ كان بيموت، ليش لا هل الحب مايموت.. مات مش بيموت.

(عند غناء ناديا تقوم بالتقاط الوردة الصحيحة عن الأرض، وتدفنها في أصيص مجاور لها خالٍ من النبات وترمي فوقها التراب)

(صمت)

أولغا: الأمر ليس بهذه البساطة.

ناديا: حتى هذه الأمنية لم تعد تعني لي شيئاً.. لا أريدها.. أعتقد أنني ارتحت الآن، المهم أن أرتاح من كل شيء ولا أريد شيئاً إلا..

سلمى: **(مقاطعة)** أتريدين طفلاً بلا رجل.

أولغا: حتى هذا ممكن، ولكن لن تعودي إلى بيروت.

(صمت)

ناديا: **(ممازحة)** أنا أجبت عن السؤال على ما أعتقد، ثم إننا لسنا بوارد تحليل الأماني والحالات.. دوركما الآن.. هيا **(تمسك يد أولغا)** سنتحدث في هذا لاحقاً.

(صمت)

سلمى: أولغا أنت الأكبر.

أولغا: **(بضحك)** أنا لا أرغب بشيء.

سلمى: **(مازحة)** موسكو، الساحة الحمراء، مسرحك المفضل، وقوفك على خشبته لتأدية دور حياتك أوفيليا... أحاول فقط استدعاء ذاكرتك.

أولغا: **(تنظر مباشرة لعيني سلمى)** لن تجدي الذاكرة لن يجدي الحديث..

ناديا: أشعر بالذنب لقد أشعت حالة من الإحباط..

أولغا: لا، لا، أبداً ولكنها سنة كباقي السنوات، ربما سأتخلى عن عاداتي بأن أتوقع حدوث أمور مفاجئة غريبة وسعيدة.. تفرق بأنني كبرت عاماً إضافياً سأعمل فيه كما السابق، وسأبعث نقوداً لأهلي سيسعدون بها، وسأخبرهم برسائلي الطويلة عن السعادة التي أحيا ضمنها، وعن عمل جيد، ومنزل أخاذ، وأدوار بطولة تسند إلي في أهم المسارح الباريسية.. وسيقتنعون بذلك ظاهرياً، وسيفرحون ظاهرياً... لكن بأعماقهم يدركون.. أجل يدركون.

(أثناء حديث أولغا، تقف أمام المرآة، وترسم تجاعيد على وجهها وعنقها، وتصبغهما بقناع من الألوان، تجعلها تبدو هرمة)

سلمى: **(بصوت خفيض)** أتخافين من تقدم العمر؟

أولغا: لا **(تصمت)**.. أجل أخاف من الهرم، من الوحدة،

أتخيل بعد رحيلكم أنت إلى دمشق، وأنت إلى بيروت، وأنا وحدي في هذه الغرفة العفنة.. الجدران.. الزوايا.. الكراسي.. لكن الفارغة هذه المرة.. سأضعها فوق الطاولة، كما في أية مقهى، عند خروج آخر مرتاديه، وسأنتظر أن يأتي أحد ليجلس عليها.. هذا جيد أن أنتظر شيئاً.. خير من ألا أنتظر، وعندها ستجدي الذاكرة.. ستنفع حينها، وسيصبح وجهي مليئاً بالتجاعيد، وستنتبج العروق في يدي وقدمي، وسيكبر أنفي وتتهدل شفتاي، سيصبح وجهي كالمهرج تماماً دون أية أصباغ **(تضع قناع مهرج وتقوم بحركات بهلوانية)** لن ينظر إلى أحد عندها.. وإذا كنت اليوم أؤدي أدواراً أشبه بكومبارس في مسارح باريس البائسة، فوقتها سأعمل خادمة لتلك المسارح.. مهرجاً يضحك الآخرين لعجزه، ولا يضحك.. لكنني سأظل أستمع إلى موسيقاي، إلى اسطواناتي العتيقة، سأعيش مع انتصاراتنا القديمة، وأحلم بأخرى قادمة.

(أثناء حديثها، تقوم بوضع الكراسي على الطاولة، ثم تفرش عليها اسطواناتها الكثيرة)

(صمت)

ناديا: اطمئني لن نغادر...

(يضحكن وتدمع أعينهن في الوقت ذاته)

سلمى: **(بصوت خفيض)** وبوريس..

أولغا: **(تنظر إلى الساعة)** الآن سيكون ساحراً، يناقش مع الأصدقاء الأوضاع والأمور، يحلم ويحلمون، ويقررون أن يفعلوا ويغيروا، وسيضم حبيبته بعد قليل، سينام بهدوء حالماً بسنة ستحمل الكثير من المتغيرات، بعد أن يشرب نخب حبيبته مرات ومرات، فهو كما موسكو لا يؤمن بالدموع..**(تغني)** موسكو لا تؤمن بالدموع، تلك المدينة الأبدية بسحرها، ستظل تنشر الابتسامة على شفاه الناس، سيخلد الجمال اسمها طويلاً سنعرف يوماً أنها الحياة، والقبح سيزول، عندها الكون جميلاً سيغدو، والكائنات ستكسو هياكلها الزنابق..

(عند غنائها تقترب من باقات الورد، تتلمسها، تشمها، وتعيدها لمكانها)

(صمت)

أولغا: أمنيتي ألا أبقى وحيدة، وأن نبقى معاً في أي مكان **(تضحك، تنهض، وتشعل الضوء وتطفئه ثلاث مرات)** أن أكون محبوبة بدرجة قليلة، والأفضل بدرجة كبيرة.. وأن أتلقى غداً الكثير من الاتصالات، تتمنى لي سنة سعيدة.

(تنفخ على شمعتها فلا تنطفئ أيضاً)

ناديا: أمنية معقولة..

سلمى: **(ضاحكة)** معقولة جداً، وقنوعة جداً، ونصيحتي لك أن تبيعي اسطواناتك، وتتخلي عن فكرة الوحدة.

أولغا: اسطواناتي آخر ما تبقى لي من حلمي، فدعيها هادئة بمكانها، إنها تشعرني بأنني يجب أن أحيا..

(يضحكن)

سلمى: أما أنا، فعلي أن أحيا لسبب آخر..

ناديا: **(متفاجئة)** ما هذا التغير المفاجئ..

سلمى: بالنسبة لي، فأنا أعشق هذه المدينة.. باريس.. إنها تجلب السعادة والحظ **(تقفز إلى باقة الورد، وتقطف منها وردة وتجلس على الأريكة)** يحبني، لا يحبني، يحبني، لا يحبني، يحبني **(تضحك بسعادة)** أتمنى أن أعانق الناس، كل الناس، أحبهم جميعاً أشعر أنني أطير.. سأرقص في الشوارع، ستملأ ضحكاتي المكان.. سأزور المقاهي، المراقص، المعابد.. سأصلي، أجل لأبقى على سعادتي هذه....

أولغا، ناديا: عاشقة إذن..

سلمى: أجل.

أولغا: وأخيراً أحببته لأيمن.

سلمى: **(مستغربة)** أيمن.. من أيمن.. آه.. **(تضحك)** كلا.

أولغا، ناديا: **(بدهشة)** من إذن؟

(صمت)

سلمى: حازم..

أولغا: **(بدهشة)** حازم، ولكنه..

ناديا: **(مقاطعة)** بعمر والدك.

أولغا: أنت تمزحين.. من؟

سلمى: **(بجمود)** هو فعلاً حازم..

(صمت)

ناديا: لا تأتي من عمر سوى المصائب، هو من دعاه إلى حفلة عيد الميلاد، وعرفك عليه.. ثم لم تلتق به إلا من أسبوع، ما هذا الحب الفجائي.. الجنوني..

سلمى: أول مرة أشعر بتلك الرعشة الغريبة تجتاح جسدي، أول مرة ينتابني إحساس بأن علي أن أكون أفضل، أن أتجمل لأكون امرأة العالم، أبالي بكل ثانية من حياتي، لأعيش لذاتي، لأيامي، لا لأمضيها أنتظر قماشاً أبيض سيلف جسدي، كرهت الموت بحبه، أشعر أن امرأة مثلي عليها أن تعيش ألف عام..

أولغا: ولكنك لست زوربا، ستتحطمين، ستنهارين، الآن أنت سعيدة لكن مع الوقت..

سلمى: لقد عشقني.. قال لي إنني أعدت له إحساسه بالمرأة، وأعاد لي إحساسي بدواخلي وأنوثتي، قرع أجراساً في لم أسمعها من قبل، وقشر جلداً متبلداً متكسراً، وأسدل آخر نضراً، كان ينتظرني، بقي في باريس من أجلي، وفقط من أجلي، ألغى محاضرته في مرسيليا ليراني، حتى لو مصادفة في البار الذي اعتدنا الجلوس فيه.... كتب لي على راحة يدي أنه يحبني... أشعر نفسي وكأني في حلم لا أرغب في انتهائه.

ناديا: أنت قلتها، حلم، فرحة، لأنه كتب لك أحبك على راحة يدك.. مراهق عجوز.

أولغا: رجل بهذا العمر، يعشق امرأة بعمر ابنته، ألا يخجل من نفسه... وصدقته أنه عاشق.

سلمى: **(تمسك بكتفي أولغا وتهزها)** هو ليس مضطراً لأن يقول لي هذا.. غير مضطر للكذب.

ناديا: احذري، أنت من عشقته منذ البداية، أحببته منذ أن قرأت له، وأسقطت عليه هالة نورانية، سعيت لمعرفته بطرق شتى، بلا شعورك، أنت من جعلته يتنبه لك، ولكنك..

سلمى: ماذا؟

ناديا: ستصبحين كما كل نسائه.. ربما يحبك الآن.. أجل هو لا يكذب.. تشعرينه بحالة شعرية، تأتي إليه بالوحي (**ساخرة**) ولكن الخطوة التالية ماذا... هل فكرت ماذا؟ أنسيت عندما قال لك إن حلمه يعشق امرأة عشرين يوماً خارج كل المقدسات والنظم، عندها بهرتك تلك العبارة، لقد لاحظتك، ولكن هل فكرت بعد انقضاء العشرين يوماً، ماذا ستكونين!!!

(صمت)

سلمى: اعتقدت أنكما ستسعدان لسماعكما خبراً كهذا.. كم مرة قلت لي يا ناديا ويا أولغا إنكما تتمنيان لي الحب، وإنني لن أخرج من سوداويتي إلا عند شعوري بتلك الخفقة الدافئة.. أن لا أفكر حينها بفن الجنون هذا..

ناديا: ولكن ليس حازم!! وما هي جدوى علاقتكما إن بدأت الآن...

(صمت)

أولغا: (**تنهض وتغلق النافذة**) سلمى دعي الحياة تفرحك ولمرة واحدة... عيشيها هكذا، وبكل تفاصيلها، بجماليتها، كلنا أحببنا، ونعرف ما هو الحب.. إنه

الحياة.. وهي قليلاً ما تمنحك ذلك الإحساس الرائع بامتلاك العالم، وربما ما بعده.. الله والشيطان معاً..

(صمت)

ناديا: سلمى أرجوك لا تدعيه يلمسك لأنه حينها..

سلمى: **(مقاطعة)** سأستحم **(تخرج من الغرفة، نسمع صوت المياه من وراء ساتر من الزجاج المهشم، ونسمع صوتها تغني)** يقول إني امرأة يغار منها النهار، وإنني لؤلؤة تعدو إليها البحار، يقول إن كل اللغات تحار دائماً بوصفي، وإنني له الحياة والحب، إمضائي وطيفي، يقول إنني نهر الجمال، والله كم يهوى الجمال، ولفتة الدلال مني، والناس يغويها الدلال..

(أثناء الغناء ناديا وأولغا يكملان حديثهما بعدما أطفأت أولغا الأضواء واستمرت الشموع بالإضاءة فقط)

ناديا: أخاف عليها، ما زالت صغيرة.

أولغا: عمرها ستة وعشرون عاماً وصغيرة؟ إنها ناضجة وتعرف ما تريد.

ناديا: ستنهار، أعرف حازم جيداً، لم تحتمله امرأة في السابق، لن تحتمل لا مبالاته واستهتاره، لن تعي أنه مجرد حطام.. حطام حرب لبنانية... إنه تعب وسيتعبها..

أولغا: لكن ربما..

ناديا: **(مقاطعة)** ربما ماذا؟؟؟

أولغا: أول مرة أجدها متخلية عن تلك النظرة التشاؤمية، مقبلة على الحياة، هذا شيء جيد، ربما..

ناديا: إنها مقبلة على الحياة الآن... ولكن ماذا غداً.

أولغا: الزمن وحده كفيل بحل تلك الأزمات، دعيها تعش التجربة، كلنا خضنا علاقات حب بدأت عاصفة، وانتهت فاشلة، لكننا مازلنا نحبها، نتنفس من خلالها، نحيا من أجلها، من أجل تكرارها.. حبها له سيدفعها للدراسة.. للحياة..

ناديا: ومن ثم إلى الموت..

أولغا: لا تكوني متشائمة..

ناديا: أنا واقعية.

أولغا: لقد مرت بظروف أصعب، واستطاعت تجاوزها، لا تتعاملي معها على أنها طفلة مدللة.. ربما تستطيع إعادة توازنها، وتقرر العودة النهائية إلى مدينتها.

ناديا: دمشق.. هي لا تفكر بالعودة إليها، بالرغم من حنينها الذي تكبته في حلقها ودموعها...

(صمت)

ناديا: علينا ان نمنعها من السفر إلى مرسيليا، لتتصل به عبر الهاتف، ليأت إلى المنزل إلى باريس..

أولغا: أوافقك على عدم سفرها..

(ناديا تملأ الكؤوس الثلاثة لحظة خروج سلمى من الحمام)

ناديا: أمسكي كأسك ولنشرب نخب حياتنا الجديدة وأمنياتنا.

سلمى: **(ترتاح لهذه الكلمة)** شكراً لك ناديا..

سلمى، ناديا، أولغا: صحة.

(سلمى تقف فوق الشمعدان وتطفئ الشموع الثلاث)

(إطفاء)

ناديا: لكنك لم تخبرينا عن أمنيتك؟

أولغا: هذا صحيح !

سلمى: بعقلية كهذه، لا أدري كيف تعملان في الصحافة والمسرح.

(يضحكن)

أولغا: ولكن لا يجب إطفاء الشموع هكذا!!

سلمى: لا أدري متى ستتخلين عن وساوسك المتعلقة بالإضاءة.

المشهد الثاني

حادثة

(بعد مرور شهرين، ردهة واسعة في مشفى، نستدل على ذلك من خلال عدد المرورات لأسرة مغطاة بغطاء المستشفيات، تمر وحدها بين الحين والآخر. وهناك عدد من المقاعد الشاغرة للانتظار، ناديا لوحدها في هذه الردهة، أولغا تصل للتو)

أولغا: **(لاهثة)** هذا سيفي بالغرض **(تخرج من جيبها بضعة أوراق نقدية غير منتظمة، أو مصفوفة، ناديا تهز رأسها وهي مطرقة لأسفل)**

أولغا: ماذا جرى.. هل هي حادثة... انهيار عصبي.

ناديا: **(مقاطعة)** محاولة انتحار.

أولغا: **(بدهشة)** انتحار!!

ناديا: **(ترفع رأسها ببطء)** لقد تناول كمية كبيرة من الكحول مخلوطة بعدد من الحبوب المهدئة أو مسكنات قوية لا أدري.. **(تبكي)**

(صمت)

أولغا: سينجو بالتأكيد، عمر قوي، هو كذلك دائماً، ربما هي لحظة ضعف... سيسخر منها عندما يصحو..

متأكدة.. ناديا سيكون بحال أفضل صدقيني.

(صمت)

ناديا: شكراً على النقود، لكن من أين..

أولغا: أخبرتهم في المسرح أنني بحاجة إلى... سلفة، فأعطوني راتبي مقدماً.. وهكذا، المهم أن يكون عمر بخير.. **(تبتسم بحنو)**

(صمت)

أولغا: سينجو بالتأكيد.

ناديا: **(ترتخي وتنزل من على الكرسي إلى الأرض)** كان بإمكانه محادثتي، البوح لي بكل ما عاناه، أنا أيضاً كنت وحيدة، أشتم رائحة الجثث حولي **(تستلقي عل الأرض، يداها متصلبتان فوق صدرها وكأنها في تابوت)** رائحة الموت تعبق في حلقي، أنتظر نعشاً ياسمينياً، لعله يخفي تلك الرائحة وإلى الأبد.. ربما.. لا لقد تركته في واقع مشوش ملتبس. لم نتكلم أبداً منذ شهرين، أعطيته نصف الحقائق، نصف الكلام، نصف الأشياء والرغبات والعواطف و... الحب.. كنت أنانية، دائماً هكذا أفكر بنفسي **(تنهض كمن ينهض من نعشه وتقف أمام النافذة)** بحثت عن خلاصي دون أن أعيره أي انتباه..

أولغا: لم يفت الأوان بعد، سيعود كل شيء إلى ما كان عليه.

ناديا: **(غير مكترثة لحديث أولغا)** أنا من أنهيت العلاقة، لكن كنت أعتقد أنه سيتصل بي، سيقرع الجرس فجأة، لأجده يحمل لي الأزهار.. ليعانقني، وليقل لي زعلانة، يضحك وكل الأشياء تصبح على ما يرام، لكنني كنت أنانية، واعتبرت أن كرامتي فوق كل شيء، و لم أتصل به.

أولغا: فعلت الصواب.

ناديا: كلا لا تبرري لي، أعرف بأنك تريدين مواساتي ليس إلا، أنا مخطئة.

أولغا: أنا لا أواسيك.

ناديا: **(مقاطعة)** كان بإمكانه إعادة كل شيء إلى مكانه، بل أفضل، إعادة الألوان إلى حياتنا، الالتماعات لعيوننا، بدلاً من جعل سواد الليل يميع على وجوهنا، لكنه اختار الهروب بانتحاره.. ربما لم أترك له المجال، كان علي إدراك حساسيته، لم يشأ أن يضغط علي ويأتي، بعد طلبي له عدم محاولته الالتقاء بي.. كم كنت قاسية متوحشة، الرجل الوحيد الذي أحبني بكل تلك القوة، رميته فجأة، لأنني لم أحتمل..

هكذا وبكل بساطة، لكنني تعذبت، كنت أريد طفلاً، لكنني **(تجهش في البكاء)** لا أستطيع، أولغا لن أنجب بعد اليوم..

أولغا: **(بعصبية)** لم ترميه فجأة، هل أذكرك بكل الهفوات والترهات، أم أذكرك بكل فظاظاته المتكررة معك، كما خياناته، ولماذا لن تنجبي، هل انتهت الدنيا من الرجال.. أنتن الشرقيات!

ناديا: **(مقاطعة)** المهم أن ينجو الآن.

(تدخل سلمى وهي مرهقة وشاحبة، تعانق ناديا بقوة)

سلمى: أخبرتني الممرضة أنك تستطيعين رؤيته الآن..

ناديا: **(بفرح)** نجى، عمر قوي، دائماً هو قوي **(تهرع إلى الغرفة)**

سلمى: ما الذي حدث؟

أولغا: محاولة انتحار.

سلمى: المهم أن تكون فاشلة.. لم ننته من هم عمر.

أولغا: صه.

سلمى: غادرت ناديا..

(صمت)

سلمى: **(تخرج من جيبها بضعة أوراق نقدية، وبنفس الطريقة التي أخرجت بها أولغا النقود، بشكل عشوائي وغير منظم)** ستفي بالغرض.

(يبتسمان)

أولغا: **(تنظر إلى النقود التي ما تزال بيدها)** كيف.. استطعت..

سلمى: قابلت والدة الطفلين الذين أجلس عندهما، وطلبت منها راتبي مقدماً فـ...أعطتني إياه.. هكذا.. المهم أن تكون ناديا بخير.

(صمت)

أولغا: **(تمد النقود التي بيدها إلى سلمى)** لا تكذبي.

سلمى: وأنت من أين!

أولغا: بعت الاسطوانات والغرامافون **(بعجلة)** لكن لا تخبري ناديا.

سلمى: **(بذهول)** بعتها.. ولكن.

أولغا: لا جدوى من التذكر، والعيش في انتصارات الماضي الوهمية، الذائبة بانكسارات الحاضر.. المهم أن نحاول النجاح الآن.. أليس كذلك؟

سلمى: بعتها كلها؟

أولغا: بقيت لي واحدة.. تكفي **(تدمع عيناها وتضحك)** بعد

الكأس الثانية لا أميز بين واحدة وأخرى.. وأنا لا أسمعها إلا عندما أتناول الكحول.. فالمهم أن تبقى واحدة.. لا تهتمي..

سلمى: ألم تنسخيها؟

أولغا: لم يكن لدي متسع من الوقت، قالت لي ناديا أن أكون في المشفى في الساعة الثالثة، وباتصالها بي في المسرح، لم أفهم منها، سوى أنها بحاجة إلى بعض المال.. فهرعت إلى الاسطوانات كالمجنونة، وتذكرت بائع الأنتيكات الذي ألح مراراً علي لشرائها... ثم جماليتها تكمن في كونها اسطوانة، وليست شريط أنها ذكرى... لكن أنت.. من أين؟

سلمى: **(بشرود)** سألت جميع الأصدقاء المقربين والبعيدين **(سلمى تقوم بتمثيل حواري لكل من التقته في سعيها للحصول على المال)**:

– آسف سلمى، لا أحمل نقوداً معي، لكن في منزلي نستطيع أن نذهب ونرتاح من عناء المحاضرات، وهناك أستطيع أن أعطيك نقوداً.

– آسفة سلمى، عيد ميلاد أمي اليوم، وأريد شراء هدية لها.

– آسفة سلمى، اليوم حفلة أندريه، وأنا مشاركة بها.

– آسف، آسفة، آسف، والبعض تحدث لي عن الظرف السيئ الذي يعيشه، والآخر قص لي سيرة جارته العجوز التي يعيلها، وتوصل أحدهم لفتح نقاش طويل معي حول مضار العولمة، وتأثيرها على دخل الفرد.. و... و.. لقد طلبت مني إليزا أن أقرضها بعض المال إن استطعت تحصيله. استغربت أولغا، هؤلاء جميعاً، عرب وفرنسيون، أوضاعهم المادية جيدة، أما الفقراء منهم، فاستطاعوا تأمين مبلغ لي، لقد بذلوا قصارى جهدهم، لكن المبلغ لا يكفي.. حياتنا وحدة، برد.. عزلة **(بحدة)** لو كنت في دمشق... **(تنظر إلى عيني أولغا)** لن أستطيع فعل شيء أيضاً.. العالم أصبح موحشاً **(باستهزاء)** قرية فضائية مقفرة.. أوضاع مشابهة... وإن اختلفت المدن وأسماؤها.

أولغا: وأخيراً من أين؟

سلمى: تصوري، ذهبت لعند كاترين والدة الطفلين اللذين أجلس عندهما، فقالت لي، إنها تبحث عن ضمانات لتمنحني مالاً مقدماً.. وخصوصاً أنني عربية... أصبحت تهمة.

أولغا: لا تهتمي، فسمعة العرب، السرقة والتخلف والإرهاب. وسمعة الروس، العهر، وربما نختلط في هاتين الصفتين، لست أدري.. فماذا تفعلين، هل

تتظاهرين، تحتجين.. سيقولون لك وبكل برود، ارجعي من حيث أتيت.. إلى مدننا الجميلة لكن... الفقيرة.

(صمت)

أولغا: المهم؟

سلمى: بعت الساعة الزئبقية.

أولغا: لكنها الهدية الوحيدة من حازم.

سلمى: **(بشرود)** حازم ما زال موجوداً، سيهديني غيرها.

أولغا: مازال؟ ألم تقطعي علاقتك به، على الأقل هذا ما أخبرتنا به.

سلمى: أتسمينها علاقة، لهذا بعت الساعة.

أولغا: أتخدعين نفسك؟

(صمت)

سلمى: المهم أن تكون ناديا بخير، اسطواناتك أغلى بكثير، وتخليت عنها، إنها مجرد ساعة تعلق في الفضاء، في الخواء، ولا حاجة لي لمعرفة الزمن بعد اليوم، لا أريد إدراك ذلك الزمن الزئبقي.. أما في جوفي فما تزال كلماته محفورة **(تبتسم)** أعبق برائحتها... تلك الكلمات لن أبيعها لأحد، كوني واثقة.

أولغا: لن يشتريها منك أحد، كوني واثقة.. **(باستهزاء)** ربما تباع وقت التنزيلات.

(صمت)

سلمى: أتدركين أولغا... للكلمات روائح، تماماً كما الأماكن والذكريات، ولها طعوم أيضاً.

(صمت)

أولغا: وما هو طعم مرسيليا.

سلمى: **(مندهشة)** لم أسافر إليها بعد، وأنت تعرفين **(صمت)** دخان... **(تشعل سيجارة)**

أولغا: **(تمسك بالسيجارة)** وألهذا تكثرين من التدخين... حتى يعبق طعمه في حلقك... لتتذكري؟!

سلمى: الحياة تذكر، وربما الموت كذلك، عندما أكون معه لا أستطيع إلا التدخين، وبهذا أصبح طعمه مرتبطاً به، طعم المرار... لا تخبري ناديا، لا أجد ضرورة.

أولغا: **(مقاطعة)** لقد حل آذار، الطقس سيتحسن... أحب الربيع.

سلمى: **(تضحك)** أكره عندما يتحول الإنسان إلى مراسل للأرصاد الجوية.. أقوم بهذا عندما أتصل بحازم أو بأهلي، واللحظات المتعبة والقلقة مع الأصدقاء حيث

لا يجدي الحديث.

أولغا: وهذه اللحظة كذلك.

(ناديا تقترب وتمتزج ضحكاتها الهستيرية بدموع غزيرة)

أولغا: حالته مستقرة؟

ناديا: أكثر من مستقرة..

سلمى: هل حدث مكروه... انتكس؟

أولغا: ناديا أجيبينا.

ناديا: **(تركع على ركبتيها)** فارغة، هشة، باردة، قذرة.

أولغا: **(بصوت خفيض)** غادرنا؟

(صمت)

ناديا: لكنه لم يمت...

سلمى: غيبوبة؟

أولغا: شل..

سلمى: توقفي عن نذير الشؤم **(أولغا تدمع عيناها)**

(صمت)

ناديا: بقمة سعادته... شرب كثيراً.. أصابه ألم في رأسه، تناول عدداً من المسكنات دون أن يعرف عددها..

ثم ببساطة... كان مع عشيقته، لكنها صباحاً تنطلق إلى عملها وهو أيضاً... يحمل دفتر هواتفه القديم، وقد سجل اسمي ورقمي في حال حدوث طارئ... ببساطة هو يخطط للزواج الآن، لأنه اكتشف فجأة أنه لا يستطيع العيش بدونها... كل تلك السنوات معه لم يقترح أمراً مماثلاً، لا أصدق الراحة التي أراها على وجهه اليوم، لماذا..

(صمت)

ناديا: قذرة هي حياتنا.

(أولغا وسلمى يفردان يديهما فتتبعثر النقود على الأرض البيضاء للمشفى)

سلمى: الاسطوانات.

أولغا: الساعة.

ناديا: **(ترفع رأسها ببطء، وتنظر إلى النقود، ثم تركع فوقها)** الاسطوانات... الساعة... لا.

أولغا: ألوان النقود على الأرض البيضاء مثير.

سلمى: التماعها على الأرض مشع.

ناديا: **(تتلمس النقود المبعثرة، وتغطي بها وجهها المليء بالدموع)** لن تسامحني يا الله على ذلك.

أولغا: **(تمسك بذراع ناديا وتعانقها)** المهم أن نسامحك نحن **(تبتسم)**

سلمى: على ما أعتقد.. كاترين ستفتح مقهاها الليلة... وأصبح لدينا نقود للذهاب.

أولغا: **(تبتسم لسلمى)** والطقس جيد.

ناديا: دعونا اليوم نولد من جديد، مع كل آلام الولادة وآمالها.. سنسهر حتى الصباح مودعين كآبتنا الحمقى إلى غير رجعة.. سنخط آمالاً غير تلك التي اعتدنا، سلمى ممنوعة أنت من تناول الكحول.. في الأيام الماضية لم نشاهدك إلا وأنت متكسرة من كثرته، وعلى ماذا لا أدري... ألم تقولي أنت عن تلك الفترة، تنذكر وما تنعاد.

(إطفاء)

سلمى، أولغا: **(بإشران بالغناء بضحك ساخر)** تنذكر وما تنعاد ونشوفك بالأعياد تعمر وتجيب ولاد بس إنساني **(تنضم إليهما ناديا)** كل فرحة وبعدها حداد وعم يبرم العداد كل شي فاني... **(يضحكن)**

المشهد الثالث

سهرة

(أولغا، ناديا، سلمى في المقهى، لا يوجد سواهن في الداخل..ثلاث نساء يطّعمن المقهى بصدى ضحكاتهن)

ناديا: لطيفة جداً كاترين، تترك لنا المكان وترحل.

أولغا: في موسكو كنا نفعلها كثيراً.

سلمى: في دمشق، من المستغرب أن تجلس النساء في مقهى بمثل هذا الوقت، وحول مائدة كحولية.

أولغا: لماذا؟

سلمى: كي لا تخدش أنوثتهن **(يضحكن)**

ناديا: لو كنا في بيروت لفعلناها في مقهٍ عدة.. ليس بنفس الطريقة **(تنهض وتمثل)** كاترين نحن متعبات جداً، وبحاجة لأن نجلس وحدنا في المقهى بعد الإغلاق، وسنعتني بالمكان... سنحرسه **(مازحة)** ومجاناً... صدقيني لن نعبث بشيء.

أولغا: **(ضاحكة)** سنحرسه.. وهي صدقتك على أساس.

سلمى: لقد لمست ذلك الإدمان اللانهائي على الخفقات السوداء في قلوبنا.. شعرت بأننا وصلنا لمرحلة الصفر

المتساوي مع اللانهاية.

(صمت)

ناديا: لن نعود للكآبة مجدداً.

سلمى: وهل تركتنا؟

أولغا: وهل تركناها؟

ناديا: قبل قليل... أقصد قررنا ألا نعود إليها مجدداً... نحن الشباب لا نخاف المستقبل.

أولغا: **(بسخرية)** شباب!

(صمت)

أولغا: سلمى أنت الشباب الذي لايخاف **(تنهض عن الكرسي)** يفترض أن تكوني الأكثر سعادة بيننا، بحب دافئ في شتاء باريس النقي.

سلمى: لا تسخري مني... تلك الأمور لا تحتمل المزاح **(ناديا ترمق أولغا بنظرة معاتبة)**

أولغا: كنت أحاول مماز حتك فقط.

ناديا: هل التقيته من جديد؟

(صمت)

سلمى: أولغا، وصلتني من دمشق اليوم سجائر حمراء طويلة،

ومتة، ألا تودين التعرف على هذا المشروب الخطير..

أولغا: بلى.. دعيني أحضره (**تمسك بالعلبة وتذهب إلى غرفة تحضير القهوة والمشروبات في المقهى**)

ناديا: هل من جديد؟

سلمى: (**بشرود**) أنا لست سوى عشرين يوماً من سني حياته الخمسين.. لكن لم أستطع حتى اليوم الابتعاد عن بريق عينيه... عن ابتسامته المومضة الغامضة... صوته يشبه رنين أجراس الكنائس تحت شمس دافئة وبحر هادئ.

(صمت)

ناديا: (**تضم رأس سلمى بيديها إلى صدرها**) جيد أنك لم تلتقيه... لم تسافري إلى مرسيليا أليس كذلك؟ هي تجربة عشق حالمة.. تذكري لحظاتها الجميلة.. لا تندمي عليها، ما دمت قد قمت بها، لن يفيدك الندم بشيء، وسرعان ما ستتعرقين حبه مع سموم جسدك، وستندمل الجروح، لتقفي مجدداً على ناصية الحياة.. ما زلت صغيرة، ستعبق تجربة حالمة عشتها تحت سماء باريس في ذاكرتك..

(صمت)

ناديا: ما زلت صغيرة على هذا الأسى... الحياة أمامك،

وخيارك منذ البداية كان غير منطقي..

سلمى: صغيرة؟! تلك مجرد كلمة عبثية تخفف الألم أحياناً.. لا، لا تخففه بل تخدره ليعود مجدداً أقسى وأمضي.. **(تبتسم)** كنت أواسي بها الكثير وأرى دوماً نظراتهم الزائغة التي لا تصدق هذه الكلمات أبداً.. أبداً ناديا.

(صمت)

سلمى: سأنهي علاقتي به... هذه المرة.

ناديا: **(مقاطعة)** وهل بدأت علاقتك به؟... هي مجرد اتصالات ليس إلا، حب عبر الأثير وأسلاك الهاتف، حالة ولدت في جوفك نتيجة الفراغ. فراغ معنوي وعاطفي ومادي.. حبك لحازم مجرد وهم.

(صمت)

أولغا: **(تدخل وبيدها إبريق ومجموعة كؤوس)** لقد حضرت مشروبكن.

سلمى: **(تلتفت لأولغا وتضحك)** هل اعتبرته شاياً أو قهوة.

ناديا: لا يحضر هكذا.

(أولغا تهم بتحضير آخر وفق طريقته الأصلية)

ناديا: انسي أمره وتعالي.. اجلسي... **(سلمى تجلب زجاجة**

نبيذ من على الرف)

أولغا: سلمى لقد وافقت على الشرط، من غير المعقول أن تعودي إليه مجدداً.

(صمت)

سلمى: **(تخرج من حقيبتها سيجاراً، وتفرط تبغه في صحن تغلفه بورق السيجار، تشعله لتخرج روائح عبقة ودخان كثيف، ترقص معه)** إنها رائحة مرسيليا.

ناديا: مرسيليا! **(أولغا تنظر إلى ناديا وتشير إليها بالصمت)**

سلمى: وللمرة الأولى داست أرجلي بلاطها العتيق، وصلت حوالي الثانية عشر.. كان الشوق ممزوجاً بصلاة حارة ودعاء أن أصل في الوقت المحدد، مشيت كثيراً، لم أملك المال لركوب أية حافلة، مشيت يدفعني شوق مشبوب إليه، سألت كثيراً عن موقع الجامعة التي يدرس فيها. واجهت نظرات لا مبالية تجاه أسئلتي، لكن ذلك لم يثنيني، سأراه، حلمي سيتحقق.. سيحيط بي من كل الجهات، سألتحف رغباته ونمضي إلى دروب لم يعبر عليها أحد.. ليخبرني أشياء تجعلني أحلم لسنين عديدة، تسعدني لأزمنة بعيدة.. سينتظرني كما عودني في باريس..

ناديا: ما الذي جرى؟

سلمى: وصلت أخيراً ورأيته، واعدني في مقهى قريب من الشاطئ، بعد ساعتين.. ساعتين في مرسيليا، هل تعلمين ماذا يعني هذا... ثم ثرثر بأمور لا أدري ما الرابط بينها، عن الجامعة، الرطوبة، ثم عن الطقس.. الطقس أولغا، ثم عن بيروت يا ناديا.. انصرفت بهدوء، لا بأس ربما هو محرج في مقر عمله.

(صمت)

ناديا: لماذا لم تعودي إلى باريس، كان بإمكانك...

سلمى: **(تروي غير مكترثة بما تقوله ناديا)** ربما.. هو نوع خاص من الكذب يدخل إلى جوفك للحظة ثم يبقى سابحاً في أحشائك، تشدك تلك المدينة، تأسرك، تمشي لساعات في شوارعها، تتعبين، تتمنين من شخص واحد أن يمد لك يده، أن يلقي التحية.. وجوه جافة مصفرة حوافها تسرع في مشيها، تذعر من بعضها... لا أدري، ربما هي تشبه كل الأماكن الغريبة تلك التي تنتظرين فيها أحداً... قطعت مسافات كثيرة وجلست في مقاعد فارغة.. مليئة.. لا أدري، ولكن كنت أكذب بروعة وبدقة على ذاتي.. بررت له وانتظرت.. تذكرتك ناديا.. تذكرتك أولغا.. وتساءلت لماذا أتحمل كل هذا العناء.. كل هذا التعب، دمشق من بعيد مبتسمة، تبدو لاهثة من غبار ودخان

التصق بهوائها، مارست الجنس معه كي يهجرها ويرحل، لكنه خالف كل الطقوس الغربية والشرقية للرجال في عصرنا.. لازمها... التصق بها، ولم يحتمل فراقها، تعبت منه واستسلمت له.. لكنها مع هذا بدت جميلة وحنونة كما أبي، اشتقت إليه، هو من بعيد يلوح لي، يا ليته كان هنا، كلماته ستمحي كل الأسى الذي أحياه.. لكنه يلتحف دمشق، تلك الجميلة الحنونة، حتى بأكثر الأزقة قذارة فيها، قادرة على تجاوز الخيبات.. وأنا هنا أتنشق ذرات الامتهان والذل.

أولغا: ليس لهذه الدرجة.

(صمت)

سلمى: يريد جسدي فليمتلكه، ولكن لأتلمس حبيبات صمته تقول لي في لحظة.. يحبني.. في منزله أخبرني بأن لديه موعداً ضرورياً، نزلت معه والغثيان يغرق حلقي وصوتي، ربما لن يرحل أبداً عنهما.. أشعر برائحتي كذلك.. تمنيت لو نزلت وسرت حافية القدمين، في شوارع مدينة بحرية، رغبت في الصراخ، بالعويل.. بقتل كل من شاهدته، كرهت الأطفال لأنهم يضحكون، والشمس لأنها تلمع، والقمر لأنه محبوب..

أولغا: أنت أقوى من كل تلك الترهات، ربما لن تحل اليوم، ولكن الزمن كفيل بحلها، كنت مثلك، ومررت بما مررت به، بل لعله أقسى، واليوم..

سلمى: **(مقاطعة وبعصبية)** واليوم ماذا، أولغا لنكن صريحين اليوم، أنت تعانين من وساوسك القهرية، من أمراضك النفسية، وأنا أيضاً ونادیا... تشعلين الضوء وتطفئينه ثلاث مرات.. الشموع وإطفاؤها... حجاباتك، قصاصاتك تحت الوسائد.. أدعيتك.. وعدد المرات التي يجب تكرارها.. هل تظنين أننا غافلتان عن كل ذلك **(تمسك بيد أولغا)** كفانا سخرية من أنفسنا، كلنا أمراض... أمراض تعشقت في خلايانا العصبية، تلك التي لا تموت.. كفانا سخفاً **(بتهكم)** أقوى، أقوى وكلنا خواء حتى العظم.

ناديا: **(تصفق بسخرية)** أنهيت أطروحتك، أهذه أزمة تعتبرين نفسك مررت بها.. لعلمك أنها تافهة ولا تساوي شيئاً، ماذا لو أنك عشت تجارب فقر وجوع وبرد... وحرب.

سلمى: ألا نعيش البرد الآن.. هيا اسردي لنا حرب بيروت المتخيلة، أخالها حرباً مع طواحين الهواء.

ناديا: ليتك تعيشين حرباً كتلك، عندها لن يكون بمقدورك الاستهزاء بها... مريضة، أجل انكساري ومرضي خلق من احتراقها... بيروت.

سلمى: أنت كما حازم، كلاكما يعلق إحباطه وانعزاله وفشله في حياته وعلاقاته على تلك الحرب.

ناديا: **(بعصبية)** أنت لم تحيها، لم تتلمسيها، لم تنهاري مع أمة كانهيار أولغا، لم تعيشي عبثية كعبث حرب الخمسة عشر عاماً، مجرد هزة فشل من زواج أودى بك إلى باريس، فتاتنا لم تعد تحتمل كوابيس دمشق، لأنها انفصلت عن زوجها.

سلمى: أنت لا تدركين احتراق دمشق الداخلي، تلك هي الحرب في دمشق.

أولغا: **(تصرخ)** كفى.. كل منا يحمل مأساته وضعفه ومرضه وانهزامه.. فالأفضل أن نصمت.

(صمت)

سلمى: أشعر بالغثيان يزداد **(تهرع إلى الحمام)**

أولغا: علينا أن نبقى بجانبها، لقد وقفت معنا في أصعب المواقف.. إنها حطام.

ناديا: سبق وأن حذرتها من هذا.. وكل منا يحمل مصيبته في داخله، لا أستطيع احتمالها الآن.

أولغا: لا تذكري شيئاً أمام سلمى من هذه الترهات.

(صمت)

ناديا: أشعر بالهواء ثقيلاً كأنه لا يتحرك.. نعم إنه جامد... أولغا لا تنفري مني.. لكن هواجسي القلقة لا تقل عن هواجسها، ولعل أقسانا ظرفاً هو أنت..

أولغا: لم أعد أحتمل المزيد، علينا أن نخرج من هذه الحالة.. حياتنا مجرد هلوسة تئن تحت رزح الأماني.

(صمت)

سلمى: **(تدخل باكية وهي تضع يديها على وجهها)** اعذريني أولغا أرجوك.. اعذريني ناديا. لم أقصد... أنا ضعيفة ومنهكة **(تمسك بيد ناديا وتضعها على صدرها فوق قلبها)** إنه محطم، لكنه بالتأكيد يحبك.

(صمت)

سلمى: أنا قوية، أواسي نفسي بهذه الكلمة الرنانة، تثلج قلبي لبرهة لكنني أشعر بتواري هذا وراء قناع، ولأعود لشرود طويل، وبماء داخلي يعزف على أغشية باتت تفضل السكون والجفاف وتؤثر توقف خفقتها.

ناديا: في غرفتنا المطفأة نرقد، نتأمل بعضنا طويلاً، ونفكر هل نحن أموات أم أحياء، ربما نفكر في الموت ليس إلا، وربما نحن الموات.. في عتمة موحشة أسمع حشرجة، نعم إنها تصدر منك، من صدرك أولغا، لتثبتي لي ولسلمى بأننا مازلنا على قيد الحياة، ونبقى

على انتظار صدورها لتطرب آذاننا، ونؤكد، نعم أنا أحيا لا محالة.

سلمى: نلعب تلك اللعبة طويلاً، نتأمل ماضياً عشناه وندمنا عليه مراراً.. بالرغم من ألمك عندما تسعلين فإننا نستمتع به... أية سادية هذه... وفي الصباح نفكر بأن علينا أن نجد منزلاً مرتفعاً عن سطح الأرض، لأن أقبية باريس لا تناسب ربوك... ولكننا لا نملك أي قرش إضافي.

أولغا: تجلسين وحدك في الغرفة، تكتبين الترهات والخرافات، ولتنفذ إلى أنفك رائحة الحبر مرة أخرى، تكتبين دون أن تري ما تكتبينه، إنها الظلمة تلف المكان، لا أدري لم اعتدت على الكتابة بتلك الأجواء السوداء، كما اعتدت الوقوف على الخشبة في العتمة.. تشعلين شمعة، تقربينها من المرآة.. تنتظرين طويلاً طويلاً، تنتظرين شخصاً يطل عليك من الخلف، ترسمينه في الخيال... تتمنين أن يحبك كل الناس كما أحببتهم، لكنك تشعرين كل مرة أنك مرفوضة... لأنك اعتدت عدم الرياء.. ولتزداد الوساوس.. لا أستطيع كبحها، أشعر أن ثمة خطر ما سيأتي إن لم أفعلها، هل تظنينني سعيدة! لكنني سأحاول.. سأحاول.

(أثناء حديث أولغا تقف أمام مرآة في المقهى بعد أن تخرج من حقيبتها شمعة مخاطبة نفسها في المرآة)

سلمى: **(تستلقي على الطاولة بين الزجاجات والكؤوس)** حتى عندما أحاول أن أخط شيئاً ما فأنا أكتب بصيغة المذكر.. تلك هي المفارقة.. أتخشين أن تكوني امرأة وأنت كذلك، لماذا؟ أتكرهين الإحساس فيك، وتتمنين طمره في بئر عميق ليرحل عنك، مرتدية أقنعة أمام الناس كما تلبسين الضحكات والابتسامات، وتغرقين في الطلاء وجهك لتكوني أمامهم جريئة لا يهزها شيء.. لا تبكين.. امرأة لا تبكي.. لأنها قوية.. لأنها لا تكترث لشيء.. من قال لك إن اللامبالاة صورة جميلة **(أثناء حديثها، سلمى تخرج من حقيبتها علبة المكياج وتضع مسحوقاً أبيض على وجهها وهي ما تزال مستلقية)**

أولغا: ولكنني بكيت مرات عدة لأجذب شخصاً أعجبني في قطار أو متحف أو ممر لا أدري..

ناديا: أشعر بالوحدة تمزق حتى أصابعي، تقشر جلدي، وتبقي على قلبي فقط نابضاً بالكراهية والحب، الحرية والسجن، الحرب السلم... التذكر والنسيان.. بيروت بيروت.. لماذا تضطهدينني.. أنا تائهة.

(صمت)

أولغا: حلمت البارحة أنني في الساحة الحمراء، وجثماني مسجى بالقرب من ضريح لينين وفوقه يمتد صليب

كاثوليكي!! وفي صدري أضع حجاباتي ونجمة حمراء فوق رأسي..

ناديا: وما المشكلة؟

أولغا: جمعت أشياء لا تجمع... لا تشبه بعضها أبداً.

ناديا: في الشرق كلنا نحيا بين صلبان وأقمار، جوامع وبخور، حجابات الشيوخ، والنجوم الحمر تخفق عالياً.

أولغا: لم أعد أميز.

(صمت)

سلمى: سافرت مرات عدة.

أولغا: ورأيت الباب موصداً مرات في وجهي.

ناديا: مرات عديدة أجهضت.. مزقت أجنتي.. رحمي لن ينجب بعد اليوم.

سلمى: مزقت قلبي وثوبي... وتعريت.

ناديا: بيروت جردت من كل ثيابها.

أولغا: ومارست طقوساً غريبة في الدعوات.

ناديا: لكنها لم تنفع. ما تزال مدننا تحترق، وننتقل من مدينة إلى أخرى حتى نحترق.

(أثناء هذا الحوار، أولغا تخرج الاسطوانة الوحيدة المتبقية لديها، وتدور وإياها، لنسمع لحناً روسياً عتيقاً، تظل تدور حول نفسها والطاولات، وتخرج من صدرها عدة أوراق وحجابات بألوان مختلفة، ترميها على الطاولة، ناديا تمشي ببطء، ترسم على الطاولة ذاتها خرائط لمدن وشوارع وترسم على الجدران أيضاً وتسميها، تفرد عدة خرائط لمدن فرنسية على الكراسي، أما سلمى فهي لا تزال تدخن بشراهة وتتأمل ملياً في أي شيء يصادفها متلمسة إياه)

أولغا: لكنك لاقيته مرات.

ناديا: وانتظرت مرات أخرى، كان رحمي ينتفخ، لكنه ينزف مرة أخرى.

سلمى: في كل مرة انتظرت، تعاظم حلمي ملأ المكان والهواء الشاغر، وفي كل مرة تحطمت.

أولغا: اختلفت الصخور التي تحطم عليها حلمي لكن النتيجة واحدة.

سلمى: لا أستطيع حتى نسيانه.

ناديا: حازم يغرق كما نحن جميعاً.

سلمى: يحلم بكابوس يوصله لحدود الموت.. يرى وجوهاً وقسمات لأصدقاء خانوا، ماتوا، أو غدروا.. لقد نفدت سماواته وحدائقه.

ناديا: لقد نفدت أحواله.

أولغا: باتت خاوية تماماً، إنه كما نحن ضعيف وهش.

سلمى: يهرب نحو أقنعة الثبات واللا اكتراث واللا جدوى.

أولغا: فنانون نحن بارتداء الأقنعة.

سلمى: ولكننا نمضغ كل يوم عدماً بارداً ومعتماً.

ناديا: لن نستطيع التخلي عنها أبداً، سنظل نأتي من ضبابيات حياة أخرى.

سلمى: صمتي يغريه.. والصمت كذلك دائماً يغري بالعبور إلى برزخ ذهبي، إلى اللا شيء.

أولغا: عودي إلى دمشق إنها تنتظرك.

سلمى: لم أحقق شيئاً بعد.. قبلت رهاناً مع والدي ولن أدعه يسخر مني هذه المرة، كما كل مرة أعود خاوية اليدين وبفشل مرير.

ناديا: اليوم لن يسخر منك صدقيني هو مثلنا وكلنا نشبه بعضنا.

أولغا: ولكن أبرعنا من يستطيع إخفاء كل ذلك وراء قناع.

سلمى: ولما لا تعودين إلى بيروت.

ناديا: أخاف.

أولغا: مم؟

ناديا: من اللا شيء، من الموات.. من الموت.. الزمن بطيء.

أولغا: الموتى لا يخسرون شيئاً عندما يموتون، الموتى لا يتذكرون شيئاً عن موتهم، ربنا أعطنا كفافاً لأشيائنا.. ودع الموتى يدفنوا أشياءهم.

ناديا: باريس كانت حلمي ومهربي، لكنها بدت مقفرة عندما دخلت أعماقها.. باريس نور في الحلم.

أولغا: وبطلة مسرحية تسلط عليها الأضواء.

ناديا: لكن من يدري حقيقتها عندما تكون في الظل.. نحن نحيا باريس في ظل مليء بالهلوسات والتناقضات.. إنها الريح تهب في الاتجاه الخاطئ هاهنا.

سلمى: لا تهب الريح في اتجاه خاطئ أبداً.

(صمت)

أولغا: سأعود إلى موسكو.

(ناديا وسلمى يقتربان منها)

(إطفاء)

ناديا: كيف ستكون مدننا الآن.

سلمى: بلا أسماء.. بلا معالم.. لكن..

أولغا: سنعود.

المشهد الرابع

غرفة

ناديا وأولغا وسلمى في الغرفة يرتبن ثيابهن في حقائب، نسمع عبر المسجلة أغنية "بيقولو١ صغير بلدي" ثم نستمع لمقاطع من أغانٍ متعددة فرنسية وعربية وروسية وصوت المناداة على ركاب الطائرة.

(إطفاء)

ناديا وأولغا وسلمى أمام باب الغرفة وحقائبهن مغلقة أمامهن، وطائرات ورقية تطير حولهن ومقطع من أغنية "في قهوة ع المفرق" مع صوت الطائرة ترتفع، تحلق أولغا وناديا وسلمى في فضاء المسرح.

(إطفاء)

ناديا وأولغا وسلمى يفردن ثيابهن في الغرفة ذاتها، ويعلقن الثياب دلالة على عدم المغادرة، وتصدر من المسجلة ذاتها أغنية "نزل السرور".

(إطفاء)

المشهد الخامس

حقيقة

(أولغا وسلمى ونانديا يرتدين ثوباً ذهبياً ملتصقاً بأجسادهن، يقفزن وسط حقل كبير من القمح وهن في غاية السعادة، لكن حبلاً ما يلتف حول خصرهن يشدهن فجأة نحو الأرض، وتهب رياح قوية تزيل كل سنابل القمح، ومعها تتدحرج أولغا ونانديا وسلمى، لنرى امرأة تقف وسط الفراغ تنظر إلى أفيش كبير لمسرحية، عنوانها "باريس في الظل" وتبدو في الأفيش نانديا، أولغا، سلمى)

امرأة 2: **(تحمل بيدها فنجاني قهوة)** الطائرة لن تغادر حتى تتحسن الأحوال الجوية، ولم يتبق في مطعم المطار سوى القهوة **(تبتسم)** المسافرون أكلوا الأخضر واليابس.

امرأة 1: ومتى ستتحسن الأحوال الجوية؟

امرأة 2: لا أحد يعلم.

(صمت)

امرأة 1: جميل هذا الأفيش، أليس كذلك، والعنوان "باريس في الظل" تبدو مسرحية جميلة.

امرأة 2: لقد حضرتها، وهي فاشلة للغاية، وعنوانها لا دلالة له

على المضمون، لكنه يغوي كما حملتها الإعلانية.

امرأة 1: **(مازالت عيناها معلقتين على الأفيش)** تخيلتها جميلة... أولغا روسية، ناديا لبنانية، سلمى سورية... وكلهن يدورن في فلك منزل دمشقي واسع يضم باراً وغرفة ومشفى.

امرأة 2: إنك تهذين، لا توجد هذه الأسماء في المسرحية، ولا تلك الأماكن، ولا تلك الشخوص.. كما أنها..

(صمت)

امرأة 2: مازال المنزل الدمشقي يسافر في ذاكرتك، ألم تقرري أن تكسريها وتنالي حريتك، وتسافري إلى مدينة أحلامك.. باريس.

امراة 1: ربما لم تعد كذلك.

(صمت)

امرأة 2: عدت للتأرجح بين السفر والبقاء.. اعتبريها تجربة، إن لم تعجبك عودي..... ستسافرين أم ماذا؟

امرأة 1: لا أدري.

امرأة 2: الوقت يمر.

امرأة 1: الزمن بطيء.. لست متأكدة لا من البقاء ولا من السفر.

امرأة 2: عندما يفوت الآوان ويمضي الوقت سريعاً عندها ستعرفين.. ستدركين.

(صمت)

امراة 2: ستسافرين؟

امرأة 1: لا أدري.

(أثناء الحوار بين امرأة 1 وامرأة 2 يكونان متجهتين بوجهيهما تجاه الأفيش المعلق في صدر المسرح، عندما تقول لا أدري، يلتفتان إلى الجمهور، ونجد أن كل منهما قد حملت بيدها قناعاً نصفياً هو عبارة عن وجه الأخرى، لتقفا في النهاية وراء بعضهما وتلتصق الأقنعة ببعض وتختفي خلفها وجوههما الحقيقية)

(إطفاء)

امرأة 1: من الظلام أتيت.. أزحت عن عيوني غشاوة.. تجلت أمامي زحمة أشباح وهياكل.. سترافقني.. ستشيعني.. إلى الظلام سأعود مغمضة العينين.

تمت